الفصل الثالث: المسيحُ عيسَى ابنُ مريم ﷺ

يقول الله تعالى رادّاً على اليهود الذين زعموا أنهم قتلوا نبيَّ اللَّهِ عيسى ابنَ مريم: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

ويقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦].

فرسول الله عيسى ﷺ لم يُقتَل ولم يُصلب، بل سينزل ويقاتل الناس على الإسلام، وسيؤمن به ناس من أهل الكتاب، كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٩].

قد ذكرنا في حديث النواس بن سمعان ﷺ أنَّ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقيِّ دمشق، وأنه لا يحلُّ لكافر يجد ريحَ نَفَسِهِ إلاَّ مات، ونفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفُه، وأنه يقتل الدّجالَ بباب لدّ - في أرض فلسطين - وهنا - إن شاء الله - سنتكلم عن صفاته وجهاده ﷺ.

صفته وجهاده:

روى الإمام مسلم في صحيحه في حديث الإسراء، عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «.. **مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسى بنِ عِمرانَ عَلَيه السَّلامُ، رَجُلٌ آدَمُ[1] طُوالٌ[2] جَعْدٌ[3]، كَأَنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ[4]، وَرَأَيْتُ عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ، مَربوعَ الخَلْقِ إِلَى الحُمْرَةِ والبَياضِ سَبِطَ الرَّأسِ[5]..**» الحديث[6].

وعند مسلم أيضاً من حديث جابر بن عبد الله وحديث سعيد بن المسيّب

(1) أي أسمر لون الجلد.
(2) بمعنى: طويل.
(3) أي جعد الشعر.
(4) اسم قبيلة.
(5) أملس شعر الرأس، ليس بجعد.
(6) شرح النووي لصحيح مسلم (227/2).

رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبياءُ فإذا موسى ضَرْبٌ مِن الرِّجالِ كَأَنَّهُ مِن رِجالِ شَنُوءَةَ، ورأَيْتُ عيسى ابنَ مَريَمَ عليه السلام فإذا أَقْرَبُ من رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ ابنُ مَسْعودٍ رَبعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّما خَرَجَ مِن دِيماسٍ، يعني حَمّاماً...» [1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «أَرانِي لَيْلَةً عِندَ الكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ ما أنتَ راءٍ من أُدْمِ الرِّجالِ، له لَمَّةٌ كَأَحْسَنِ ما أنتَ راءٍ مِنَ اللِّمَمِ[2] قَد رَجَّلَها فَهِيَ تَقْطُرُ ماءً، مُتَّكِئاً عَلى رَجُلَيْنِ أو عَلى عَواتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطوفُ بالبَيْتِ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذا؟ فَقيلَ: هذا المسيحُ ابنُ مَرْيَمَ..» الحَديث[3].

وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عيسى نَبِيٌّ وإنَّهُ نازِلٌ فَإذا رَأَيْتُموهُ فاعْرِفوهُ: رَجُلٌ مَرْبوعٌ إلى الحُمْرَةِ والبَياضِ، يَنزِلُ بَيْنَ مُمَصَّرَتَينِ[4]، كَأَنَّ رَأسَهُ يَقْطُرُ وإنْ لَم يَصُبْهُ بَلَلٌ، فَيُقاتِلُ النّاسَ عَلى الإسْلامِ، فَيَدُقُّ الصَّليبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، ويُهْلِكُ اللّهُ في زَمانِهِ المِلَلَ كُلَّها إلاّ الإسْلامَ، وَيُهْلِكَ المَسيحَ الدَّجّالَ، فَيَمْكُثُ في الأرْضِ أرْبَعينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفّى فَيُصَلّي عَلَيهِ المُسْلِمونَ» [5].

ويصف لنا رسولُ الله ﷺ حالَ المسلمين عند نزوله وماذا يفعل - عليه الصلاة والسلام - فيقول: «.. وإمامُهُم رَجُلٌ صالِحٌ. فَبَيْنَما إمامُهُم قد تَقَدَّمَ يُصَلِّي بهِمُ الصُّبْحَ إذْ نَزَلَ عَلَيْهِم عيسى ابنُ مَريَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإمامُ القَهْقَرى لِيَتَقَدَّمَ عيسى فَيَضَعُ عيسى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقولُ له: تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإنَّها لَكَ أقيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِم إمامُهُم، فَإذا انْصَرَفَ[6] قال عيسى: افتَحوا البابَ، فَيَفْتَحونَ ووَراءَهُ الدَّجّالُ مَعَهُ سَبْعونَ ألفَ يَهوديّ، كُلُّهُم ذو سَيْفٍ مُحَلًّى وَساجٍ، فَإذا نَظَرَ إلَيْهِ الدَّجّالُ ذابَ كَما يَذوبُ المِلْحُ في الماءِ ويَنطَلِقُ هارِباً.. فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بابِ لُدٍّ

(1) المصدر السابق (231/2 - 232).
(2) اللمم: جمع لمة، وهي الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذن.
(3) شرح النووي لصحيح مسلم (233/2).
(4) أي ثوبين مصبوغين بصفرة.
(5) صحيح أبي داود (3635).
(6) تقديره: "إذا انصرف إلى بيت المقدس والمسلمون فيه محصورون" (أنظر الجامع الصغير).

الشَّرْقيِّ فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللَّهُ اليَهودَ فَلا يَبْقى شَيءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ عزّ وَجّلَّ يَتَواقى بِهِ يَهودِيٌّ إلاّ أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيء، لا حَجَرَ ولا شَجَرَ ولا حائطَ ولا دابَّةً، إلاّ الغَرْقَدَ فَإنَّها مِنْ شَجَرِهِم لا تَنْطِقُ، إلاّ قالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ المُسْلِمَ، هذا يَهودِيٌّ فَتَعالَ اقْتُلْهُ. فَيَكونُ عيسى ابنُ مَرْيَمَ في أُمَّتي حَكَماً عَدْلاً وإماماً مُقْسِطاً، يَدُقُّ الصَّليبَ، ويَذْبَحُ الخِنْزيرَ، ويَتْرُكُ الصَّدَقَةَ فلا يُسْعى على شاةٍ ولا بَعيرٍ، وتُرْفَعُ الشَّحْناءُ والتَّباغُضُ وتُنْزَعُ حُمَّةُ كُلِّ ذاتِ حُمَّةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الوَليدُ يَدَه في الحَيَّةِ فَلا تَضُرُّهُ، وتَضُرُّ الوَليدَةُ الأسدَ فلا يَضُرُّها، ويكونُ الذِّئْبُ في الغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلبُها، وتُمْلأُ الأرْضُ مِنَ السِّلْمِ كما يُمْلأُ الإناءُ منَ الماءِ، وتَكونُ الكَلِمَةُ واحِدَةً، فلا يُعبَدُ إلاّ اللهَ، وتَضَعُ الحَرْبُ أوْزارَها، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَها، وتَكونُ الأرْضُ كَفاثورِ[1] الفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَباتَها بِعَهْدِ آدَمَ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلى القِطْفِ مِنَ العِنَبِ فَيُشْبِعُهُم، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلى الرُّمّانَةِ فَتُشْبِعُهُم، ويَكونُ الثَّوْرُ بِكَذا وكَذا مِنَ المالِ، ويَكونُ الفَرَسُ بالدُّرَيْهِماتِ...» الحديث[2].

وفي قِتال المسلمين لليهود أيضاً يقول النّبيُّ ﷺ : «لا تَقومُ السّاعةُ حَتّى يُقاتِلَ المُسْلِمونَ اليَهودَ فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمونَ، حَتّى يَخْتَبِئَ اليَهودِيُّ وَراءَ الحَجَرِ والشَجَرِ فَيَقول الحَجَرُ أو الشَّجَرُ: يا مُسْلِم! يا عبدَ اللَّهِ! هذا يَهودِيٌّ خَلْفي، تَعالَ فَاقْتُلْهُ، إلاّ الغَرْقَدُ[3]، فَإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهودِ» [4].

روى الشيخان وأحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذي نَفْسي بيَدِهِ لَيوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسطاً وإماماً عادِلاً، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلُ الخِنْزيرَ، ويَضَعُ الجِزْيَةَ، ويَفيضُ المالُ حَتّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَحَتّى تَكونَ السَّجْدَةُ الواحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيا وما فيها» [5].

وأخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أنَّ عيسى سيحجُّ البيت الحرام ويعتمر، فقال:

(1) الفاثور: الطست.
(2) صحيح الجامع الصغير (7875).
(3) شجر عظام من شجر الشوك، واحدته غرقدة.
(4) مختصر صحيح مسلم (2025).
(5) صحيح الجامع (7077).

«وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحاءِ حاجًّا أو مُعْتَمِراً أو لَيُثَنِّيَهُما[1]» [2].

وَعن زمن المسيح عليه الصلاة والسلام يقول ﷺ : «طوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ المَسيحِ، يُؤْذَنُ لِلسَّماءِ في القَطْرِ، ويُؤْذَنُ لِلأرْضِ في النَّباتِ، حَتّى لَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلى الصَّفا لَنَبَتَ، وَحَتّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلى الأسَدِ فلا يَضُرُّهُ، ويَطَأَ عَلى الحَيَّةِ فلا تَضُرُّهُ، ولا تَشاحَّ ولا تَحاسُدَ ولا تَباغُضَ» [3].

ويقول ﷺ مبشِّراً المسلمين الذين يقاتلون مع عيسى عليه السلام - وهم بقية الطائفة المنصورة: «عِصابَتانِ مِنْ أُمَّتي أحْرَزَهُما اللَّهُ مِنَ النَّارِ: عِصابَةٌ تَغْزو الهِنْدَ وَعِصابَةٌ تَكونُ مَعَ عيسى ابْنِ مَرْيَمَ» [4].

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ : «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي يُقاتِلونَ عَلى الحَقِّ، ظاهِرينَ عَلى مَنْ ناوَأَهُم، حَتَّى يُقاتِلَ آخِرُهُم المَسيحَ الدَّجّالَ» [5].

ونَختم الكلام عن رسول الله عيسى ﷺ بهذا الحديث الشريف: عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتي فَيَمْكُثُ أرْبَعينَ[6]، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عيسى ابْنَ مَرْيَمَ، كأنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ. ثُمَّ يَمْكُثُ الناسُ سَبْعَ سِنينَ[7] لَيسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَداوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ ريحاً باردَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فلا يَبْقى عَلى وَجْهِ الأرْضِ أحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أوْ إيمانٍ إلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُم دَخَلَ في كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتّى تَقْبِضَهُ. قالَ: فَيَبْقى شِرارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيْرِ وأحْلامِ السِّباعِ، لا يَعْرِفونَ مَعْروفاً ولا يُنْكِرونَ مُنْكَراً» الحَديث[8].

* * *

(1) أي يقرن بين الحج والعمرة.
(2) مختصر صحيح مسلم (663).
(3) الصحيحة (1926).
(4) صحيح سنن النسائي (2975).
(5) الصحيحة (1959/4).
(6) وقد مر معنا في الحديث أنه يمكث أربعين يوما: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وسائر أيامه كأيامنا.
(7) أي بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام.
(8) شرح النووي على صحيح مسلم (18/75 - 76).